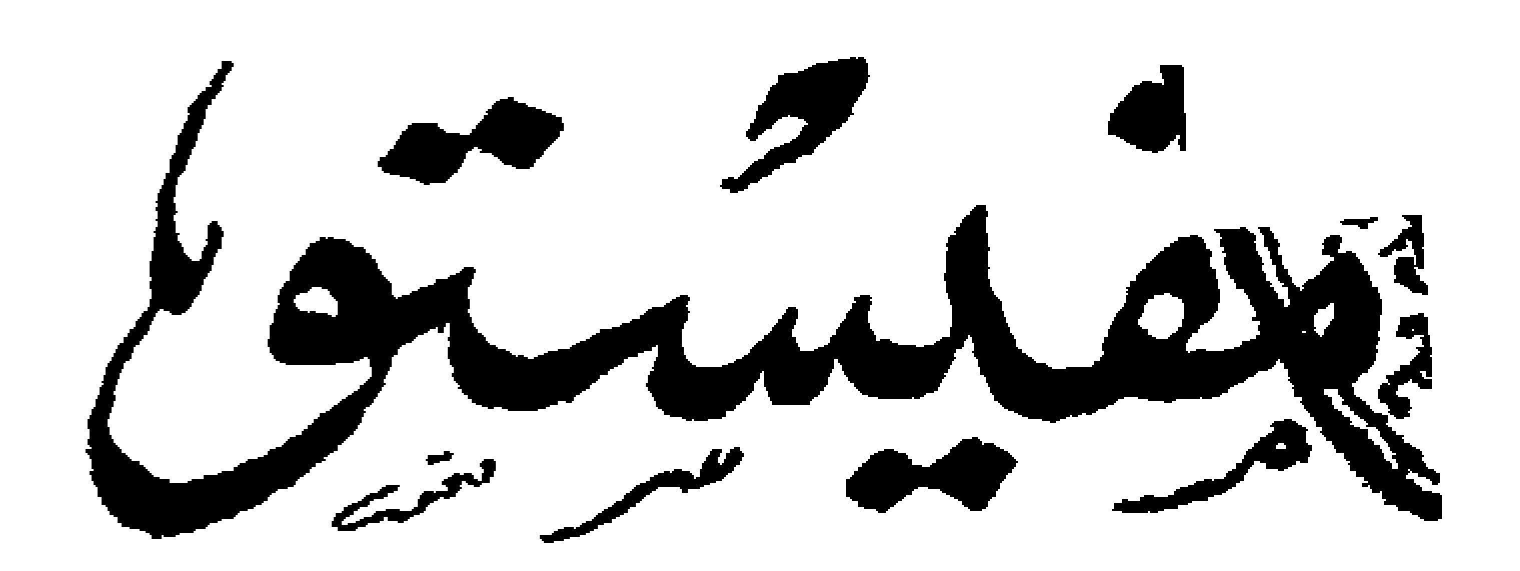
جورج كومبليت كروس

مفيستو

أو

أوديب العلم

١٩٥٥



مفيستو



أو
أوديب

— ١ —

(جنكيزخان وبعض جنوده)

جنكيزخان

ها نحن نترصده منذ ساعة
ولابد أنه قد أيقن بذهابنا
ولن يلبث أن يخرج إلينا

(يخرج فيهاجمونه)

ألن تكف عن تقبيحنا ومعارضتنا ؟

مفيستو

هل أمسكتم أنتم عن أن تعرضوا لمعتقداتنا وحريتنا
أم هل تناسيت أنكم تعوّدتم منذ سنين
أن تترصدونا لتمتدوا علينا
« أساء آدم إلى الرب فعاقب الرب الجميع
تلك سنة الإله ، وكل مؤمن يصنع ما يصنعه الإله .
لأن أحدهم أو بعضهم أساء إلينا سنسيء نحن إلى الجميع »

« لم أعد إنساناً

فان الثورة الضارية التي تزأر فى أعماق نفسى

قد أحالتنى إلى حيوان خرافى هائل يعلو الزبد أنيابه

أغلقوا دونى أبواب قفص من حديد ... ضموا فى يدى

أغلالا لا تتحطم

فعواصف الغضب قد أطاحت بقاربى بعيداً عن رمال الدنية الناعمة

إلى جبال محيط من الدماء

وأمواج الزبد لا تزال تتكسر أمام صخور أنيابى

وأخشى أن يحقق حيوان نفسى الخرافى أسطورته »

منكبزفاده

أتهدد وتتوعد أيها الصعلوك

أنت تعرف ما يعقب هذا الكلام

مفيستو

أتريدنى على أن أجد لكم صنعكم المنكر .

أنتم أشد علينا من الوباء الفاشى بيننا الآن

« وطين الأرض صار وحلا

لن يرفع الناس وحدهم إلى الجحيم ليعاقبوا ... بل سترفع الأرض معهم لتطهر

« إن الصحيح إذا جالس المريض ساعة أصابته العدوى

فما بالكم وذلك الانسان

تلك الذبابة التى تحمل بينها رذائل العالم

ذلك المرض الذى لم تكشفه معامل الطبيعة

تلك العبقرية المتوقدة فى الغباء . .

ذلك الانسان ـ وهو كما وصفت ـ يجالس الأرض منذ الأزل

إن الصحيح إذا خالط المريض عزلتهما الحكومة معاً

كذلك الأرض الذى سار عليها الانسان ترفعهما السماء معاً »

جنكيز خانه

اكتفوه كتفاً لا يستطيع معه قبضاً ولا بسطاً

ثم الهبوا ظهره بالسياط

(يصنعون ما أمروا به ثم يبرحون المكان)

مفيستو

لقد حسب من بيدهم الأمر فى السماء أن الانسان قانع بالحياة

فعمدوا إلى إطالة عمر الأرض بتأجيل يوم القيامة

وها هو الانسان يعــد صاروخا ـ يحمل مبعوثيه ـ يصو به

إلى صدر السماء ليفاوضها فى تقصير أمد هذا الأجل

لا ... لا إنسان قانع بالحياة .

أين العناية ... أين الملائكة .... أين الرب الاله

يا ليت من هوة فى الأرض أتسلل إلى ما تحتهــا حتى

لا أرى السماء

أو يا ليت من كوة فى السماء أهرع إلى ما فوقها فلا أرى الأرض

فان سلاسل الأرض تقيد قدمى

وحبل مشنقة السماء حول عنقى .

لهو فى المعبد ... شجرة الزيتون شارة الحــرب

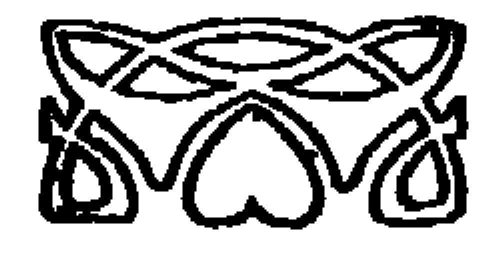
نيران فى أحواض المياه

الأرض فى السماء

النجوم تتساقط أخاف أن تحترق الأرض
أين العناية .... لا بد أن السماء قد تركت السماء
ما عدت أرى ، أو ما عدت أثق بما أرى
هل لا زالت زرقاء فانى أراها حمراء
واننى لا أعجب إذا علمت أن سكانها الملائكة قد غادروها
فربما أغرتهم الأرض وأقلتهم إليها
كلا ... كلا ... لقد أدركت كل شيء .. فليست لكل أرض
سماء ونحن لا سماء لنا ، أما هذه السماء فهى سماء لأرض
أخرى ... لا نراها ، أو ربما هى أرض لأناس آخرين
لأنه لو كانت هذه السماء سماءنا لما نستنا هكذا
اه .. ان السماء تنكرنا .. ولم لا ... فنحن نعيش فى
أسفل وهى توجد فى عل
هل لم تعد السماء للأرض ... والأرض للسماء
أليس هما كائناً واحداً ... وكونا واحداً كلا للآخر
لا .. لا .. فان كلا منها يحيا لنفسه .... يرضى أنانيته
ان النهاية القصوى عاهتان اثنتان فى الإنسان

وها قد بلينا بسماء ذات عاهات ثلاث
صماء عمياء بكماء تلك السماء

أيتها السماء ... ان أمعنت فى عنادك هكذا ، وامتنعت
عن مساعدة الأرض
فانني منذ اليوم ... سأكون سماء للأرض .



— ٢ —

مفيستو فى حجرته مع أخويه

الوقت ليلا

مفيستو

الشهوة ... ما أنقصها
لا تلبث نيرانها أن تخبو ، فيتيسر للضمير كبحها وقت فراغها
ولا أقدر فى مجال الشر ان أقف بها موقف الفخار .
عجبا ... تبينت أن المجرمين كلما ازدادوا اقترافا للآثام
ثبطت عزائم ضمائرهم وخبت الشعلة التى تسكن فيها
ولكن ما بال ضميرى يزداد لألاء كلما ازددت إمعانا فى الإثم
ما بال ضميرى كلما مات وواريته التراب
ثم سرت ودست بحذائى ذلك القبر إمعانا فى التذليل والتنكيل

ما بال ضميرى حينذاك يتغذى بالتربة التى دفن فيها
حتى يصبح بذرة
تنمو دوحة عظيمة
فكأنما لحده مهـــدا
وكأنما تشكيل حذائى حرث للأرض واهتمام منى بأمرها
ما بال شجرة ضميرى ليست وارفة ككل الاشجار
لا تحجب عنى توهج شمس الفضيلة المحرقة
حتى استحال بياض بشرتى إلى سواد
وحتى أصابتنى ضربة شمس أقعدتنى وألزمتنى الفراش
فراش النهاية ... نسجت أغطيته من التقريع والألم والجنون
فنفضت عنى الأغطية جميعا خوفا منها ورحمة بنفسى
ثم نمت عاريا فى مهب الرياح
ما بال شجرة ضميرى تريد أن تهوى لترديني أنا الراقد تحتها

الأخ

ماذا صنعت حتى قد ردك ضميرك إلى هذا العذاب؟
حدثنى ولا تخف عنى أمرك

مفيستو

لا شيء .... لا شيء

(يذهب ليغلق الباب المغلق ، ثم يشك أنه
لا يزال مفتوحا فيعود ويوصده وهو
موصد ... ويصنع ذلك مرارا)

إن الجنون فى عقلى
إننى أدرى أننى مجنون
ألست أدرى ... لا زلت عاقلا
وهذا ما يعذبنى ... فرأسى تحمل العقل وتحوى الجنون
والجنون عدو العقل ... ففى رأسى أعداء
إن فيها لحربا
ليت رأسى تحوى أحدهما دون الآخر
ليت أحد المتحاربين ينتصر ويتغلب ليحل الهدوء
والاستقرار
فليكن العقل نصيبه الهزيمة
حتى يكون نصيبه النصر

فالجنون إنما هو عقل حر لا تقيده قيود العقل
الجنون انطلاق التفكير بعيدا
الجنون ان لا تكون مسئولا أبدا
أن لا تكون خاطئا أبدا

ما أروع الجنون
إنه يهب القوة والسلطان
ويغدق الحكمة والصواب
إنه ... آه ... إن فى رأسى لألمـا
كلا ما أقبح الجنون .... ما أبغضه
إنه — وهو القوى — يتعمد أن لا ينتصر
وإن كان لا يبغى لنفسه الهزيمة
إن جنونى لا يعيش إلا فى عقل يحيـا
وفى هزيمة عقلى موت لجنونى
لن يموت أحدهما ... بل كلاهما سوف يعيش
لن يتغلب أحد المدوين على الآخر
وبذلك يكون النصر للحرب

وحرب نفسى خالدة لا تعرف السلم
آه ... إننى أطلب لرأسى الرحمة
رأسى المسكينة موقعة تلك الحرب
ذلك الألم

الأخ (لنفسه)

ينبغى أن أهتك سره لأعرف ما يخفى
لا بد أن سرا جليلا بدّله هذا التبديل

مفيستو

(يذهب إلى سريره لينام)

انتكست الأرض وكان مرضها الليل وأعراضه الظلام .
وهبط عزرائيل إليها فترنحت ... وكان موفدا من الجحيم
وسمعت دوى خطاه يتردد عند الافق
فتذكرت أنى لم أصل صلاة الصباح
ومن ثم أدركت مصيرى المحتوم
فإنى بصقت فى وجه الشمس

ولعنت الثالوث المقدس

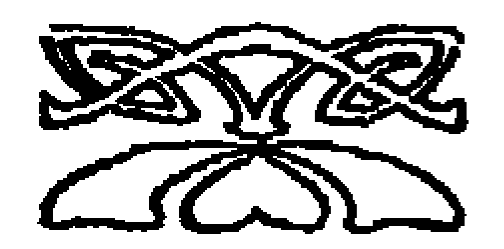
لعنت السماء ، ولعنت الأرض ، ولعنت الصلاقة بينهما :
الانسان .

يارب ... الرحمة

لا ... إن أشباهى لا ينادون الاله ذاته

ولا بد أن لى صلاة خاصة بى

وأن من كان يشبهنى يعبد ملاكا ... أو إلها صغيرا



— ٣ —

مفيستو ومره فى حجرته

إن جهاز الحياة فى صدرى يقرع كطبول الموت
فما هى الحياة ؟
أهى كل شىء بعيد عنها ... قريب من الموت
أهى مسرحية يفنى بطلها المنتقم قبل أن يأخذ بثأره
أهى شجرة تفاح أخرى .... حرم علينا أن نمسها
ثم تحملنا دواعى الحياة أن نسلب منها ثمرة
فيقضوا علينا بالموت
نعم ، هى خطة مبرمة تضطرنا أن نقترف جرماً ما
ثم نموت قبل أن نصلى

* * * *

إننى الآثم بلا نظير
لقد باتت الأرض موبوءة حين سرت عليها
إن شرى وحدى أكثر من خير الناس جميعا

كنت ابن الآلهة

ثم أضلنى الناس فأصبحت ابن ابليس . . . . ثم أباه

إننى شرير حقا ولـكنى مولع برنين الأجراس وأشباح القديسين

إن الطهـــارة تخنقنى

آه . . . لا أود أن أحرق فى الجحيم

إننى أطلب حياة أخرى

نعم . . . فلأولد من جديد

ولتجربنى السماء لترى كيف أكون صالحا

لابد أن الآلهة تدرى أننى ما كنت أصير شريرا لولم أكن مجنونا .

سيصبح يوم الحساب يومين

يوما يحاسب البشر فيه على خطاياهم مع بعضهم بعضا

ويوما يحاسبون فيه على خطاياهم معى

وسيكون يومى الأول

ويومهم الأخـــير .

(يرى من نافذة الحجرة امرأة وطفلها بشقة مجاورة)

أنظر كيف يسمدها أن تداعبه

وكيف يلهيها ذلك عن الحياة
إنما الأبناء لعب الأمهات
قد شغلتهن عن الطموحين المحتضرين
ربما لأن قلوب الأمهات لاتقدران تجاوز اللعب
لقد لعبت
حتى احتضرت .
كم سرّنى أننى غالبت الموت ثانية أخرى
لأرى عند تمام اللحظة السالفة لموتى
بينما أُقتل بقلة الحنان
أما تلعب الحنان مع دميتها الجوفاء
الحيوان IT الذى لو قد صار بأمومتها
« نصف انسان » بعد تطوره
لأهلكها البشر .

(يدخل صديق)

الصديق

إن الطاغية سوف يسوقنا إلى حرب جديدة

وإجابة هواه واجب مقدس

مفيستو

أتت الحرب وكنت سقيما عليلا
فلم أبرح إلى الساحة
ولما سرت فى الطريق سخر بى السابلة الأقوياء
ولم تبسم لى العذارى
وهرعن يحتجبن عنى كأنى طاعون
وسمعت همسات فى كل مكان أنى جبان
ولما كان الليل فى نفسى وفى السكون
حملت سلاحى ورحت مترنحا نحو الحرب
وطلعت على الميدان أذود بضعفى عن الأقوياء
(أذود عن الأقوياء ... لا مبادىء الأقوياء)

الصعيوم (عابثا)

ولكن لأرض جنكيزخان ـ وطنك ـ عليك حقا

مفيستو

كل جسم فى مكان

كالشوك والوحل
والذئاب والأفاعى
أفنطالبهم بأداء واجبات وطنية ؟
إنما أقوم فى هذه الأرض لأننى مادة
... لا وطنى
قد يتوهمون أن الجوار والقرب صيّراه لى وطنا
إنما اجتمعنا كعدوين فى ساحة واحدة
أو يزعمون أنهم كثيرا ما أعانونى على الحياة
ولكن أيحمد السجين البرىء لسجانه مايقدم له من طعام ؟
ما هو كائن بجسمه فى مكان
ومن يعيش بروحه فى وطن
وددت لو لم أكن جسما فأتخلص من كل مكان

الصديق

نعم ، فالخطوب التى لا تزال تلم بنا تخرجنا من طورنا

مفيستو

لقد حدثتنى فضيلتى قائلة

إن الناس قد حرموك سعادة الحب
ذلك الرباط المقدس المحتوم
فهاجموا حصن كرامتك
كأنك متاع مباح يديرونه كيف تذهب بهم أهواؤهم
ألا تنهض من هذه الكبوة فتذود عن كرامتك
ذلك أن جولانك فى هذه الساحة أخلق من صولتك فى ميدان الوغى -
إن الساحة التى تصول فيها نيرانها أجمل اندلاعا من كل الحروب
فأروع حرب الذود عن إنسانية الذات

(يصمت قليلا)

جسدى لايستوى وروحي
إنهما نقيضان
روحى تنزع إلى الرفعة ويغمرها الطموح
وجسدى سقيم ومحمول إلى الفناء
ولما كان عمر روحى — مهما بلغت من مبالغ العزم والبأس —
مكبولا بعمر جسدى
فلشد ما أخشى أن يخذلنى جسدى فيموت قبل أن تحصل
روحى مرامها

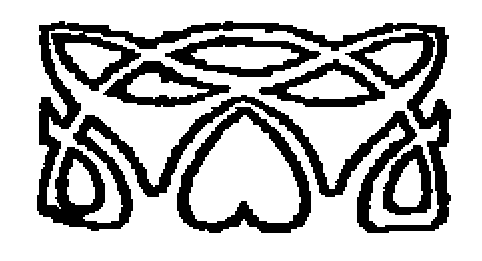
أواه ... جسدى ... تحامل ، ولا تتح للموت منك دنوا
لتتم روحى ماتصبو إليه

الصديرون

مهما استأنفنا كفاحنا ، فلن نلبث أن نخضع وندعن

مفيستو (كأنما أغضبه استسلام صديقه فتحسن فجأة)

إن قلبى الذى قد كان ينبض قد مات
والآن أقدر على دوام الحياة لأن نيران نفسى المتأججة تدفع جسدى
« فى سخرية » إن نفسى تدرى كنه علومهم .



— ٤ —

مفيستو والفتاة

مفيستو

إننى الرجل كالأرض وأنت المرأة كالسماء
ولكن لا تغترى .. ولا تتكبرى .. ولا تتمنعى
ألست صانعك ... ألست خالقك .... فلولاى ما كنت
إننى علة أنت نتيجتها ...
حقا ... ألست خالقا وأنت مخلوقة
حقا .. ألست صانعا وأنت مصنوعة
إننى الأول وأنت الثانية
لست أدرى لم تتمنعين عندما أبتغيك
ألست كى تكونى لى
أليس هذا عملك ... أليست هذه وظيفتك ... لها خلقت
أن تكونى لى .
أصل واحد يجمعنى والأرض
فلا عجب أن أنبت أنا الصلب .. الخشن .. الوعر .. من طينى

هذا المخلوق .. اللين . الناعم .. السهل .. الزهرة
ولكن أتنبت الليونة من الصلابة ، والنعومة من الخشونة ،
والسهولة من الوعورة ؟
هذا غير معقول
ولابد أنني أنا الآخر .. لين سهل ناعم
فابعثي أيتها الزهرة الحبيبة بجذورك إلى أرض روحي لتذوق الحياة
سموك امرأة ، وهذا غباء لا يحد
فالرجل لا يسمى لأحد
وحين يذل لك .. يذل لنفسه .. لا لنفسك .. لأنك نفسه
إن النصف يشبه النصف الآخر
فإن سعيت إليك ، فإنما التمس عونا من رجل يسمى امرأة .
دمائى تنبض فى قلبك ، فلا تشعرينى أنني نزفت دمائى .

الفتاة

حيله رائعة ، ولكننى لن أخدع بها .

(أخوها المريض يناديها من حجرة مجاورة ، فتخرج)

مفيستو

أغربى أيتها الشمس ، واتركينى قمراً معتما متكبرا .

(تعود الفتاة)

إننى وحدى أقدر أن أعالج لغز الحرب والسلم
الذى أثاره الوحش الرابض عند أبواب مدينتنا
ولكن ... عقلى
لقد كان يعمل ويعمل
يكد فى الليل الأسود وفى الليل الأبيض
حتى ألمّت به العلة
وقد احتضر أمس ، واليوم مات
ولما هممت أن أشيع جثمانه ، أبى أن يبرح
فلم أوارِه التراب
وتركته مع من قد كان يعيش
مع الصراع .... والأفكار .... والحياة
لتتم فكرة الطبيعة
الطبيعة لا تدفن الفناء

وتتركه يغنى مع الوجود
أليست علاقة ـ لا تنفصم ـ تنبت
ساعة أن يصنع الوجود الفناء
إنه الآن يرقد هنا فى هذه الجمجمة .
إننى أحتاج إلى حنانك
فإن لم يك فيك حنان لم يكن فيك امرأة .
... قد أبدو لك ضعيفا ولـكننى فى الحقيقة جبار .
أرى الشحوب يعتريك ، سألزم الصمت إذن .

الفتاة

نعم ، أسألك أن تفعل
(يتأوه أخوها من الداخل فتهرع إليه)

مفيستو

إن له آمالا
حتى لقد استيقن أنه سوف يبلغ المستقبل
فلقد ارتبط به بالآمال

.... والحياة

افترض أنه مات

فكيف يقع ذلك من نفسك

عندما يموت رجل أعرفه

أشعر أن قوة خالقة

تدفعني وتحرّكني في كل جهة

الفتاة (منتحبة .. من الداخل)

أخي .. أخي .. لقد مات

مفيستو

ليست هذه قاعدة الموت !!

فان ولىّ شيخ فهذا موت

وإن ولىّ طفل أو شاب أو رجل فهذا قتل

ولقد ذهب « ص » وهو شاب

لقد قتل

قتله الموت .

اللعنــــة
الموت القاتل
الموت للموت .

إننى أدرى ما الحياة لأنى مارستها
ولــكنى لا أعرف الموت ، لأنى لم أجربه
الصديق مع الحياة « يوجد » و « يرى »
وعند الموت « لا » يوجد و « لا » يرى
فهل ذلك الحرف « لا » الفارق بين الحياة والموت
لشد ما كرهت تلك الـ « لا » ورغبت عن سماعها
حتى لو سمعت « لا شقاء » و « لا جهل » و « لا حرب »
بل حتى « لا موت » .

كالعلم المنكس على الدولة المنكسرة بجنكيزخان
رفرفت ربطة عنق سوداء على دولتى
سوداء
ذلك الذى يشير إلى الموت

ذلك الذى يحبه الموت

يعيش المرء ملكا لذويه ، ويموت ملكا للجميع

الفتاة (تبكى)

أخى ... أخى

مفيستو

ما جسدى الترابى إلا قبر دفن فيه روحى

ولكن هناك بون بينى وبين تلك القبور

فان فردا لا يهم أن ينثر عليه الزهور

وتلك آفة القبور المتحركة .

اذهب فالفتاة لا تحب عندما يموت أخوها

إن التقاليد تعمل والعقول تعطل حتى يتهيأ القدر .

إننى أقدر أن أواجه الآلهة والاقدار

ولكنى عاجز عن أن أتخلص من شىء يعيش فى ذاتى

وينبعث من الماضى . والناس

ولكنى رأيت فى التو إنسانا يموت

فلتخرج من ذاتك

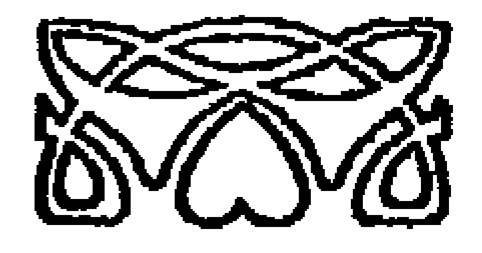
ولو أنك بذلك تخرج من كل واقعى معقول

فالواقع — وهو مردى — أن تساير ذاتك ، وهذا هو المعقول

إلا أن هذا اللامعقول اللاواقعى سوف يهبك الحياة

أكثر الأشياء واقعية ، وأصل كل عقل.

أيتها العناية الإلهية : اتخذينى دليل وجودك



— ٥ —

مفيستو (وحده ثم يدخل أبوه)

مفيستو (لنفسه)

لم أكن أبدا أستطيع
عندما أرى شيخا وطفلا يسيران معا
أن أعرف من منهما يمسك بيد الآخر
ولكن فى حالتى
كان الشيخ يتكىء على الطفل
ولم يكن هذا الطفل طفلا
ولكن طفلا مريضا .

الأب

أراك تتقزز من عملك كأنك أرفع منه
كفاك غرورا ، واعرف قدر نفسك
أنت تسافر وتتهيأ ، ولكنك تخفق على الدوام وإلى الأبد
محتجا بصداع يصاحبك

تحسب أنك سوف تبلغ السحاب
ومهما سميت ، فلن تبلغ وظيفة خادم فى بيت أمير
اتبع ما أوصيك به ، ولا تجاوزه على أى نحو من الانحاء .
وطاعة الاباء واجب مقدس

مفيستو

لقد امتهنت كرامتى
إذا كان قدرى عندك ما ذكرت ، فأنت لم تعد أبا لى
ولست تصلح أن تكون أبا لإنسان .

الأب

ماذا ، كيف تحدثنى هذا الحديث ؟
أين عقلك ؟

مفيستو

عقلى ... ؟
قيل أن العقل ـ سائق عربة الجسد ـ يحرك جوادى
الشهوة والغضب بحكمته
ولكن عجباً

فإننى أرى عربتى تسير نحو الهاوية والنيران
إن السائق قد عجز عن أن يقود العربة فتنحى عنها
فضلّت الطريق
إن شهوتى ترغب فى الهاوية ، وغضبى يحثنى إلى النيران
وهل هذا يزعجنى ؟
بل هذا ما أسعى له
فإننى عامل بما لى من عزيمة وإرادة على إرجاع ذلك السائق
الهارب إلى عربته
العقل إلى جسده
لا ليضع الشهوة والغضب فى كفة ميزان
لا ليلهب ظهرى ذلكما الجوادين بالسياط حتى يردهما إلى الصواب
بل لينضم إليهما ويتحد معهما
سيرجع ذلك السائق إلى العربة ليرشدها بحكمته إلى طريق
الأشواك
وويل لعدو يعترض طريق شهوة وغضب إذا كان عقل
يلهبهما .

الأب

ومن هذا العدو ؟

مفيستو

أنت هو

(يخرج الأب)

تعال ... تعال أطعمك بيدي — أيها الضال
الىّ الىّ لتسلو عنى — يامنبوذ
إنك تشبهنى كثيرا ، فأنت تهيم معى فى وجه الأرض
وإنك لتبكى معى إذا جن الليل
يارمز الألم، يامن تقمصت جسده الطاهر أرواح المعذبين فى الأرض
فراح يتعذب لها بأنيابه الحادة
الىّ ياسليل البقرة المقدسة ، ويافريد من أنجبته الخراف الوادعة
الىّ يا ذئب .
لماذا تبغضونها تلك الحمامة الحزينة التى أرتدت ريش الحداد
لتنعى الإنسانية المكدودة
ألأنها تذكركم بما اقترفته يداكم من أثم تنعتونها بسوء الطالع

أم لأنها تكرر على أسماعكم ما ينتظركم من مصير
الىّ ياحمامتى الحزينة ، الىّ أيها الطائر ، يابلبل فى زى طاووس
الىّ أيتها البومة
دعونى .. دعونى أذهب إلى الغاب وأعوى مع الذئاب
أين معشوقتى البومة ، ما أعذب نعيقها
إننى أسمعها ملء أذنى
« إن الرياح التى تعصف بنفسك لتهب على سحب كثيفة
سوداء
ما هذه الأمطار التى تنهمر على وجنتيك ، وتكاد أن تفتتها
انهــا — والسماء — غزيرة متدفقة
حتى قد تساءلت سحب السماء أتبقى فى سماء الأرض أم تقيم
فى سماء عينيك »
كلا لن أعود إلى الدار
إننى ذاهب أرعى الذئاب وألقى الحب للبوم
إننى « غير قابل » للسعادة
إننى لو وجدت فى نفسى جنة الفردوس لأحلتها إلى صحراء

مليئة بالأشواك
لشد ما أحببت أن أعيش بروح ضالة
حطّموا المصابيح
فإنني أرى فى الظلام ، وأتنفس فى الهواء العفن
ونحن إنما نعيش فى تابوت الأرض وسط قبر الفلك



— ٦ —

مفيستو وأخوه

الأخ

كيف تمادى فتعامل أباك هـذه المعاملة المنكرة

مفيستو

إن شرى قد تجلى على ربوة عقلى يترصد آلام قلبى
فيغتم
وإذا اغتم شرى كان غولا بدائيا
ما ينفك يحارب السابلة فى نزال احمر تحت جنح الليل
وعندما أشرف الصبح ، وطلعت الشمس
راعه سطوعها وأجفل
ولما هم أن يفر خاشما اخترقت عيناه غشاوة النور
التى تحجب عنه الحقيقة
فرآها ـ وقد قلع ببصيرته تلك السدول الدعية ـ رأى الحقيقة
ألسنة نيران شريرة تسرى من الشمس تؤازره
فـكر عليهم من جديد

وهاهو لايؤوب أبدا .

ليس هذا ثورة شرى ولكنه سورة ألمى
إذ كيف تسمون « صنيع » ألمى شرا
ما دام الألم نفسه فضيلة
إذن فليرتع شرى ويترف مستميرا اسم ألمى .

الأخ

أى ألم ، إنما هو الشر الذى يحركك
أم حسبت أنك قادر على أن تستأنف خداعنا إلى الأبد
لقد هتكت سرك وعرفت ما تطويه روحك النجسة من فساد
ورأيتك بعينى رأسى تفترس ضحيتك البريئة
بينما تنعم بربيعها الرابع عشر

مفيستو (لنفسه)

يا للهول
كم قد كان موقفى خطيرا حين رآنى — هو البشرى — أقترفها
أخطر من حالة الله حين يرانى .
عند أعظم يأس أبلوه فى حياتى ، فى ساعات الاخفاق والألم

يغمرنى كبرياء أعظم
تلك خدعة الكرامة الوقائية
وحين يذهب الناس ، يذهب الكبرياء معهم
ويبقى اليأس والألم .

(مخاطبا أخاه)

إننى أكشف لكم عما أسر
وأقسم أن تلك البشاعة المزرية التى أهتك سرها هى الحقيقة

(يدخل رجل)

الرجل

أيها السادة ، أبوكم .. لقد مات صباح اليوم

الأخ

مات حزنا وكمدا ... لقد قتلته

(يخرج مع الرجل)

مفيستو

أنا الذى قد طاردتنى ملائكة الجنة
وأقصانى بشر الأرض
ونبذتنى أبالسة الجحيم .

إننى الإنسان الضال الذى يعيش بلا مأوى فى أثير الفضاء

(يستل خنجره لينتحر)

عندما أفكر فى الموت أتذكر

فيصير قلبي ملتقى صخور جبال ومحيطات العالم .

وكلما زادت الخطوب التى تلم بى وتحبب إلىّ الموت

استمددت من تلك الخطوب أسبابا أتمسك من أجلها بالحياة

الانتحار . . . . لا

إنه الطريق الذى أدير له ظهرى حين تألم نفسى ويعذبها أخطاء الناس

والطريق الذى ربما توجّهت إليه حين تسعدنى الحياة

فلست أعيش من أجل نفسى

ولكننى أعيش من أجل غضبي .

وتلك كارثة الكوارث

فإن ذلك الغضب الذى أصبح سيدى

وتندلع ألسنته حمراء لا تسكن

لا يرضى حتى يتخذ من احتراق الآخرين ماء تطفئه

وتلك أعجوبة الـكيمياء والحساب

فالماء تطفىء النار

ـ ماء واحدة ... نارا واحدة ـ

ولـكن أنا ... نار نفسى المفردة ، لاتطفئها إلا نيران مجتمعة .

* * *

لقد علّم زيوس أبى أن الطفل برىء

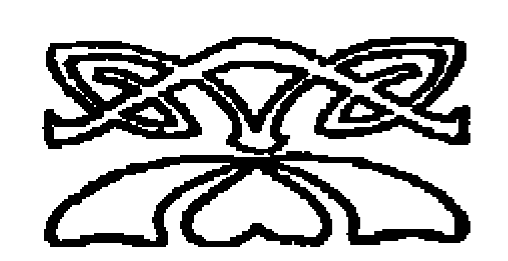
فنمت وأنا طفل مع أختى الطفلة

ثم علّم الناس أبى أن الأخ لايشتهى أخته

وأراد لى أبى أن أمارس فضيلته

فأكون بريئا ولا أشتهى

إننى التقليد ، إننى الفضيلة ألقى بها فى هوة الحقيقة فصارت مسخا



— ٧ —

جريمة مفيستو

المكان هذه الحجرة ، والزمان الآن
فلو حلت عذراء أحلامى فى زمانى ومكانى
لوجدت رغبتى قدرها
ولكن ها قد مضت السنين والقدر الذى تقيده رغبتى
لا يبحث عنها
وتثيرنى معرفتى أن هذه العذراء تعيش فى زمان آخر ومكان
مخالف
أو فى هذا الوقت فى مكان آخر
وهذه لا قدرة لى على حبها
لأننى لو تركت حجرتى الآن
طوانى فى التو مكان وزمان آخران .
وزرت جميع الأمكنة فى كل الأزمنة
فوجدت عذرائى قد برحت إلى أمكنة وأزمنة أخرى
وحاولت — عبثا — أن أخدع قدر رغبتى

فأجعل جميع الأمكنة مكانا واحدا ، وكل الأزمنة زمانا واحدا
وأعيش فى هذا المكان وهذا الزمان حيث لابد أن تكون
حبيبتى .

* * * *

المرء يحيطه الشقاء فى بيته ، فيرجو السعادة بعيدا
ويفتقدها بعيدا ، فيعود إلى بيته
فما ضرورة أن تتسع الأرض وتمتد
والمكان المتسع ليس أرحب من الضيق
فلتضق الأرض وتتقلص
لكن ليكن فى ضيقها الجديد اتساع لبيت أشق فيه

* * * *

ويفسد عيش المرء ويزيده تمكيرا
أن ما من صديق يعرف أسرار الحياة ، فأحب أن أخالطه
كلهم جفاة قساة أغبياء
يرموننى — لطموحى — بالغرور والتفاهة
لقد هجرتهم جميعا

إن داء الوحدة عدد ، ودواءها كذلك
فكلاهما من طبيعة واحدة ، من مادة واحـدة صنعـا
وعجيب أن مادة الدواء الشافية قدرها ضعف مـادة الداء
فالداء عدده واحد ، والدواء واحد وواحد
لهـــذا
لأنهما من طبيعة واحدة ، من مادة واحدة صنعا
فما أسرع أن يتحالل الدواء فيتحوّل إلى الداء
وأليس الدواء قدره ضعف قدر الداء
فأليس الدواء أكثر داء من الداء .
حتى الأخوة ليست محبة ، أو صلة
إنمـا « الطريقة » التى بها يولد كثير من الناس
من فرج واحد .

* * * *

أدلتهم على همتى شجاعتى عند الصعاب ؟
إننى إنما أرتعد خوفا
« وأبصرت مقبلا صرصارا من المدينة

أعرفه منذ عهود طفولتى
ولفرط هلعى
كدت أغمد خنجرا ـ لا يوجد ـ ولكنى « أشعر به »
فى قلبى
لولا أن صاح بى : لا تخفنى
فلن أمر « تحت » قدميك »

* * * *

إنى أسعى لأنل مجدا ، وأجد رجاء المعرفة
وها أنذا لا أخوض فى شيء خلا الإخفاق
حتى غمنى خذلان الأمل ومللت التمادى فى الفشل
وضعضعنى أن أشهد من ليسوا أندادا لى قد قهروا الصعاب
وربحوا الحياة .
وأنا إن خلوت إلى نفسى أمتحنها وأتبين خواطرها
كرهت الحقيقة المروعة التى تبدو لى دواما
ذلك أن نفسى تشترط شريطة مخوفة حتى تقدم ولا تكل
إن نفسى تعجز لا محالة حتى ترضى شهوتى

وها أنذا ، بعد تؤدة وروية وطلبا للعلا
وقد أيقنت أن شهوتى حجاب دون الاقدام
يتقرر عندى أن أقترف الاثم وأتبع الخطيئة
ولـكننى أشترط على نفسى ألا يمرد شرى ويعتو
إنما هو وسيلة أبلغ بها بغيتى ، وشر قليل يعقب خير عميم
إن شرى ـ رائع غريب ـ عدوه التصوف ويصنع صنعه
وكثيرا ما تغلغلت فى الشر إلى أبعد مدى
حتى قد كنت أعبر حدود الخير .
ولقد كان جانب من نفسى ضئيل يضمر الشر
وتختزن الخير سائر جوانبى
وقيدت الفضيلة شهوتى فلم تنطلق
فذهب خير جوانبى
وشر من هذا
لقد نما الجانب المنـكر

* * *

إننى أتكلم شرا ، ولا أفعل شرا
انظر (ينظر من النافذة)

ها هو الرجل الحقير عينه — ولا طموح يحركه — يختلف إلى
تلك العاهرة للمرة العشرين

بينما — وبغيتي أن أصبح كاملا — أهاب أن أمر ببابها
سأحطم العالم

أتميز بين الغضب والجريمة ؟

يقولون « اغضب ماشئت »

« ولكن لا تقترف الجريمة »

الجريمة هي الغضب

حين « يفعل » و« يتحرك »

الغضب « ماهية »

تقدر أن « تخلق » و « توجد » جرائم

الجريمة هي الغضب حين ينسكب من النفس ويفيض

هي امتداد جسمي لإحساس نفسي

فقد يكون الغضب زئيرا

وحين يتخذ صورة أروع

يصير اعتداء وقتلا وجريمة

* * * *

إن قلبي الجريح يسيل فى صدرى مضيعا دمى فى فضائه
وإن عينى لتنتحب جازعة على مصائب قلبى
أتصنع يداى شيئا من أجل قلبى ؟

* * * *

إن شرى لايزال يخاف
فلم أعيش ؟
الموت أهون من هذا الإخفاق الزرى
فلأمت مادمت لا أفلح فى شرى ولا أربح الطهارة
كلا ، لست أرضى بخذلانى
هاهو خنجرى أستله
إن لم أفعل فى التو فعلا زاهرا أغمدته فى قلبى
ولست أريث نفسى حتى تتأمل وتفكر
الآن ينبغى أن أصنع صنما ما
الآن . . . . وإلا

(يخرج ويعود بعد ساعة)

لقد قبلت المرأة أم الفتاة

واتخذنا النافذة المغلقة علامة إنها وحيدة تنتظرنى .

* * *

لا لم يكن الإثم خلتى
فلقد هتكت ببصيرتى الستر الذى يحجب عنى جوهر شهوتى
فبان لى أنه الفضيلة عينها
نعم ، هناك ضرب غريب من فضيلة تبدو مردية سوداء
لها مزايا الرذائل
فلقد ردنى ضميرى بتقريعه المخوف إلى أشد العذاب
ولقد كنت ألتمس فضيلتى فى الأزقة — حين حرمت منها — لأقترفها
أفقدرتم أنتم أن تشاكلونى حين افتقدتم السلام فبحثتم عنه كالمجانين .

إن المنازل تطوى الشعوب ، وتجذبها إلى البلادة والنوم
وتنبت فى كل منها صرحا للفردية
أما الطرقات فهى أبدا منازل الجماعات
فما أنبلها
لو لم تكن منازل لكانت ثورات

فاقلموها

هى لا تحمى العاصفة التى تزأر فى الخارج

اقلموها ، وشيّدوها حين يستأنف النسيم

* * *

(يقرأ جريدة المساء)

أليس كل ماتصنعه إرادتى الطيبة منكرا

ألست أنا العاجز ذا إرادة لا متناهية

ألست شجاعا وأتصرف كالجبان

ألست نبيلا وأفعل ما هو نجس

أليست الإرادة والشجاعة والنبل خصالا أحسها تختلج عنيفة

متدفقة فى قلبى

ما يعنينى ماذا أصنع مادام باطنى رائع جميل .

(يتصفح الجريدة بامعان)

لقد مات البطل زاباتا

كلما هوى انسان ... وجزعت ... ودفنوه

ولم أفهم ، إذ خبّرونى هذا الموت

تسلّلت تحت جنح الليل

لأسلبَ القبرَ جثته

حفرتُ .. وهويتْ

وارتفعت ... فارتفعت

وحرّكت بأعضائى أوصالها فتحرّكت

فاطمأنت نفسي

وأدركت أن الموت

صورة من الحياة .

وعلى حين غرة

بينما أبكى وأتألم مما أسمع وأرى

هاجتنى جريمة سأقترفها مع الشمس

وشعرت جريمتى ودموعى يلتقيان

وانتظرت ...

لا ... لم تطفىء دموعى جريمتى هذه المرة

فكنت أعد عدّتى خلال دموعى .

* * * * *

— لقد شوّهت حياتى ، ولم أعد أنام

كيف تصنع ذلك بى ، ولم اخترتنى وهناك غيرى كثيرات

أبلغك أنى أسلك سلوكا مريبا فبادرت توقع بى ؟

هناك نسوة يمشين لهذه الغاية .

— إن شمس نفسى قد هوت ، ولو غربت لأشرقت يوما ما

ولو بعد الدهر ، ولو بعد الخلود ، ولو بعد الفناء

ولم تك هوت إلى هاوية

لأننى لم أجد نهاية الهاوية

أشيد عليها مملكة سوداء لى .

ولولا ذلك لما صنعت ماصنعت ، أسألك أن تغفرى لى .

(تخرج المرأة)

قد طال عذابى

حتى صارت الجريمة حقا لى ، وواجبا تلزمونه

فاذهبوا ، لتدروا ما الواجب وما كنهه وكيف يكون

ثم عودوا لتؤدوا واجبكم .

— ٨ —

مفيستو والفتاة

الفتاة

قد سلف أن وعدتني أن نترك هذا الأمر
ولكن ألا يجب أن نكبت مافينا من رغبة ، ومن يشتهي يزني

مفيستو

ولكنك اعترفت أن الشهوة موجودة فينا

الفتاة

ماذا تعني ؟

مفيستو

موضوع الشهوة والحب المرأة
فلا تقدري أن تتصوري أو تحسي شهوة أو حبا بغير رجل
إن الشهوة أو الحب والمرأة كائن متحد ، فكيف تريدين لهما
أن ينقسما ؟
ماهي العين التي لا ترى أجساما ، أو الأذن التي لا تسمع
أصواتا
وما هي المعدة التي لا تمتلىء طعاما والعقل الذي لايتصور أفكارا

نحن نزنى بطبيعتنا
وفى شهوتنا امرأة
قد نقدر أن نفصل بينها إذا توقفنا عن الشعور
ثم أنت لا تقدرى أن تسترى عنى جسدك الغض

الفتاة (فى دهشة)

كيف ؟

مفيستو

اعتبرى أننى العدم لا أشعر بك أو بجسدك أو بأى مخلوق آخر
أو أننى قادر من حيث أنى موجود أن أعرف
ليس جسدك الغض فحسب
بل كل ماهو موجود وأعيش فيه .

الفتاة

ولكن ألم يأمرنا زيوس أن لا نبيح جسدنا لرجل

مفيستو

أسمى شىء فى الوجود المنح ، ولم يدر زيوس أن منح
الجسد يخالف زنى الجسد

وظن أن كل انسان مثل كل حيوان
الجسد يمنح قد غسلته دموع الألم
... ولـكننى أطلب جسدك ومعه روحك
فضيلتنا أن يتجه الروح نحو الجسد فيموت
لا أن ينطلق الجسد فى الروح اللامتناهى .
وروحيتنا تحـدّها ظاهرة مفردة لا تجاوزها
أن توّخم للمرأة زنى جسدها حتى تتزوج
وألا تمنح روحها أبدا
ومن أين لها روح ؟
— هى لم تذل جسدها لتسمو روحها —
فلقد قتلت روحها كى تذل جسدها
وهذه هى الجسدية
أو الجثة فى الجسد .
لقد أنبتت تربيتنا فضاء بين جسـدنا وروحنا ، فقوى
شعورنا بالشهوة
والعاقل منا من ينزع عنه هذا الانفصال .

الفتاة

يلوح لى أنك لم تجاوز الصواب

ومع هذا خبرنى ، أتؤمن بشىء ؟ أتصلى ؟

مفيستو

المعبد حين يفضو أطهر منه عند الصلاة

إنى أنفر من الأنبياء كما أنفر من الشياطين

فهم يوحون بالعقاب ... والخطايا

أنا الرجل القذر لو أحبتنى امرأة طيبة جميلة

لصرت ملاكا فى التو

لقد عشت مع النساك والأنبياء

واتخذت جميع أديان العالم وآلهته مرة واحدة لأهتدى

فلم يتحرك شيطانى قيد شعرة

إن فى المرأة الطيبة الجميلة سرا يجهلونه

إنى انتظر نبية سبيلها إلى الايمان الحب

الفتاة

تخلص من هذا الحزن الذى يغمرك ، وحاول أن تبتسم وتفرح

أو ... لم لا تحتفل بمناسبة سعيدة ماضية ؟

مفيستو

رفعت قلبا يشبه الكأس
فيه دم أحمر كالنبيذ
وسيجارتى مدخنة الحى المحترق
ولعنت الأشياء ثلاثا
ثم ألقيت قلبي فى المدفأة
قربانا للكفرة الآلهة
ومن الألم احترقت النار
ونزفت الألسنة الحمراء الدم الأحمر
ورأيت صورتى فى المدفأة
ووضعت رأسى فى المدفأة
وامتزجت الألسنة بأفكارى
فرأيت كل شىء يحترق
الأرض والآلهة ونفسى
فلقد كنت أحتفل بعيد ميلادى .

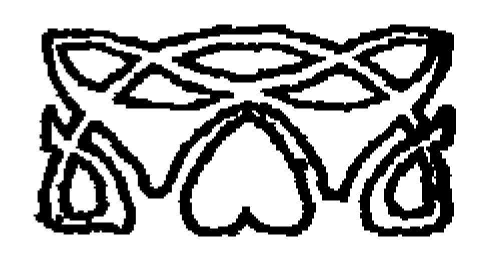
جماعات جديدة تولد كل يوم
فيعلو الصخب والصياح فى كل مكان
وتتسع المقبرة العامة
ويغشى الظلام الأسود أرض الوحل

الفتاة (تندفع نحوه وتقبّله)

إنى أحبّك ، وسأحبّك من صميم قلبى إلى الأبد

مفيستو (لنفسه)

ما طبيعتها ؟ أكانت تحبنى وتخفى ذلك عنى ؟



— ٩ —

لقد أهانتنى الفتاة من غير أن تشعر
والمرأة أغلقت نافذتها
هى وابنتها ينتظرانى ، ولكننى لن أختلف إليهما .

* * * *

نقص يشين الطبيعة
فعجزت عن أن تبلغ سموى
سموى فتيات الهيات أحيا معهن حياة الخلود
ولكن وطأت الطبيعة خطيئتى
وكل سبيل سلكت تطوينى ذميات
يرضين حاجة شهوتى
ويبقى سموى ظمآنا إلى الخلود
ليت لم يتألق فى سمو
لو كانت روحى عادية تشبه الغمار
لما اقترفت آثامى
وأحببت إحداهن وربحت نفسى
لقد شاركتنى وسموى

وتركانى وحــدى .

وسعيت فى الظلام أنا الانسان

الذى صنعه لى سموى ذلك النور

والطبيعة هذا الاله

وفى النور احترقت

وناء كاهلى

لما حملت بزيادتى نقص الطبيعة .

الحب أول الــكراهية

وما يسبقها ويوطىء لها .

سوف أحطم مصابيح الآمال جميعا التى تجرؤ أن تنير لى

وكل بوادر سعادة تنبت فى صحراء حيــاتى سوف اقتلعها

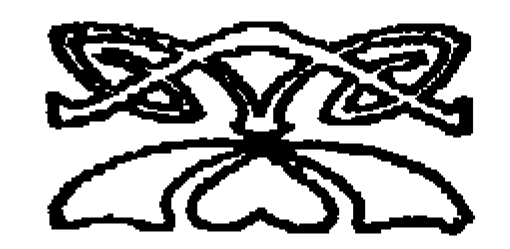
لأجنــب نفسى آلاما جديدة

فنابع سعادتى تتبدل أبدا مصادر آلامى .

والغاية عينها أبلغها بأى النقيضين

الــكراهية تهلكنى

ولقد اتخذت الحب لأحقق آمالا تجيش فى
فلئن كنت لا أتقدم بما يعيننى
فلأتقدم بما يردينى



— ١٠ —

مقطع مفيستو

نعم ، قد مات عقلى

وأصبحت جمجمتى تابوتا له

أما جسدى فهو عربة الموتى

تنحدر إلى مقبرة المدينة

تتفقد الموتى

وتفىء إلى هذا الظل

ثم تبرح المقبرة

وتجوب الطرقات مع الناس

فلموتى مستقبل غامض

(يدخل أخوه)

الأخ

إما إله أو قدر

وكل منهما ينفى الآخر

أو أن الآلهة تجهل — ما أعرفه — أن هناك قدرا

القدر ذلك اللاشيء الذى يحرّك العالم
ذلك الجماد الأعمى تدور الأمور وهو لا يدرى

مفيستو

القدر فعال أعدائى والناس

الأخ

إن عجلة القدر تدور لتنشىء مثلثه المتغاير الأنحاء
الماضى والحاضر والمستقبل
كل زاوية بمعزل عن الأخرى لا تشا كلها
فقد ينبعث من واحدة أسى
ومن ثانية يبين كفاح ونصر
ومن ثالثة يلوح حلم
وأنا إن نظرت إلى عالمى مليا
لاح نحو واحد يجثم لى هو الألم
لا . . ليس مثلث لى
فعجلته قد تحطمت عند نقطة لا معالم لها

ولم تعد تدور .
لقد مرضت
وكان دوائى أن اختلف إلى العاهرات كل يوم
وإن قصّرت صاح طبيبي غاضبا
« أنت لم تختلف البارحة إلى المرأة
وأرى حالك يسير من سىء إلى أسوأ »
ثم وهبتنى المرأة ما تحمله من علل
وكان العلاج شر من المرض
ووجدت فى « المورفين » ما يخفف آلامى
ولأجتنب « المورفين » تعوّدت أن أشرب الخمر حتى أفقد الوعى
لقد عشت ومناى أن أصير راهبا ، فأصبحت كما ترانى سكيرا
وزئر نساء
بدأت الفساد مضطرا ثم أحببته فى النهاية
إننى أبلو التجربه التى عشتها أنت ، وأفهم أطوارك وأعذرك
ولولا تلك البلية التى قرّبتنى إليك ما فهمتك قط
إننى كابدت ثمنا موجعا لأعرفك

لقد عرفتك لما عرفت نفسى

(يضحك عاليا)

إن المرء الذى يشتد ألمه يشتد ضحكه ـ إلى حد التهريج
إنما أضحك عندما أتذكر كيف تعلمت
أن سر الإيمان بالأشياء الاتصال بها ، وهكذا قد نؤمن بالكفر
وأنت كيف تدور أمورك ؟ ألا زلت تبغض «جنكيزخان»

مفيستو

سوف أترك رغبتى وحيدة تدبر أمورها
لأننى شئت أم أبيت
سأتبدل وأتغير
قد عزمت على أن أنفق أيامى نائما كليلا متبلدا
غير مكترث بالأحداث ، غافل عن الزمان
ولكن الجذوة المشتعلة تحت الرماد
بل الإرادة الشمسية المحتجبة وراء السحب
ستحقق ـ ماتضطرب به نفسى ـ من غير أن أدرى

ربما أخاف الآن وأجزع
ولا اجترىء على الاقدام
ولكننى ... ...
سوف انتظر تطورى !!

ليس هـذا ثأر
إنما تطور فى الطبيعة
فإنك لو بلوت ماء فى قدر أو دماء فى انسان
تبينت كليهما يغلى من نار .

الأخ

ولو قتلوك كما قتلوا غيرك

مفيستو

لقد رأيت نفسى والجميع يخفقون
فيجب أن أحذر ، وأصنع صنما رائما ينفى كل اخفاق
ولا بد لى أن أفلح إذا اشتملت كراهيـة للاخفاق
وكلما ازددت كراهية كنت أقرب إلى النجاح

بل إنني عندما ابتغى أن انجح نجاحا يجاوز الحدود
أبادر فأقترف إخفاقا
سوف أبلو تجارب فاشلة
انفعل لها انفعالات من نار وكراهية وهلع
وستحفظ انفعالاتى صخور ذاكرتى
إن هلعى من الاخفاق لا بد أن يلقى بى نحو الطرف الآخر .
وسيحفظ عقلى ما فى العالم من صواب
وسأعرف كل الأفكار
ويخيل لى أن عقلى يضم ما يعقل جميعا
فكل بلاء يلم بى لزمه التكرار
ولسوف أبلو تجارب جديدة
حدثت لى فى الماضى .

الأخ

إن ما خفف من مصابى أننى أقبلت على العلم ارتوى منه
وأكببت على الطبيعة أتأملها برغبة وعزم

فشعرت بسيطرتى عليها واستقلالى عنها

مفيستو

وكيف تسيطر على ما تحتاج إليه
أليست سيطرتنا على الطبيعة تنبعث من رغبة فينـا تضطرنا
إلى أن نتصل بها
فتسيطر علينا
إن سيطرتنا على الطبيعة ينفى استقلالنا عنها
وانكار استقلالنا يعنى انكار سيطرتنا .

— ١١ —

مفيستو (وحده فى حجرة جلوس الأسرة)

هويت
ومع أنى وعيت البيولوجيا والتشريح جميعا
فقد تقوّس ظهرى حتى قد كنت أسير على أربع
إننى بالغريزة أسعى منتصب القامة
وبالغريزة أسعى مقوس الظهر
والفرح والألم إله الغريزة .

ولو أن البيولوجيا والتشريح يزعمان أن الانسان
منتصب القامة بالغريزة
لا يجوز لى أن أخطىء
فقد كنت العالم والمعمل والتجربة
والزمان والمكان .

عندما الموت يتنفس يصير حزنا
إننى عند قمة الموت
ولم تعد الدموع والأحزان تجيش فىّ

فقد أصبحت أعيش فيها
ودموعي أكثر من عيني
وحزني أكبر من قلبي .

* * *

الجنس البشرى جميعه ، ما نفعه لفرد يتعذب
تطور الأحياء وتاريخ الانسان ، ما جدواه
يستوى عندى أن أعيش مع جميع البشر
أو فى صحراء وحدى
فعند ملتقى الطرق
أنى يمر جميع البشر
هويت
وكان قلبي جريحاً ، تسيل منه دمائى
وبدمى اختضب ملتقى الطرق
أنى يمر جميع البشر
وكان جميع البشر يغمس حذاءه فى دمى
حين يمر

وعند ملتقى الطرق
تفترق الطرق
وعند كل خطوة يخطوها جميع البشر
تفارق حذاءه آثار دم مقتول
من يتبعها
يدرى أين يمضى جميع البشر .
والجنس البشرى لامتناهى
واللامتناهى لا يقدر ان يعيننى
إنه اللامتناهى الضعيف .

(فجأة ، يرى نبيته الخالدة)

نظرتْ .. وابتسمت ... وانتظرتْ
وبذلتُ ما ليس فى وسعى كى ابتسم
ولكننى لم أقدر أن أشابه
الكنيسة الوحيدة فى المدينة
عندما تستقبل عربات الموتى ومواكب العرس معا
وعجبت كيف تعيش كنيسة

لا يصدح فى أرجائها الغناء
وإلى أين تمضى المواكب المنشدة
وقد ألقت أبوابها موصدة
وكنت أصيح من الداخل كالمجنون :
ادخلوا جميعا
فأبوابى على مصراعيها مفتوحة تستقبلكم
ولكن أحدا لم يسمعنى
لأننى ...
لا أقدر أن أبتسم
وبقيت أبوابى المفتوحة على مصراعيها
غير منظورة .

(تذهب)

الويل لى من وحدتى
سأذهب إلى القاهرة
وبينما تظننى أرضع الشهوة من صدرها
أخدعهـــــا

وأرضع الحنان .
سأذهب اصارع عدوّى
وعندما يشتبك جسدانا فى قتال دموى
أختلس ضمة حنان .

تدخل أمه

(يأتى بحركات غريبة كمن فقد صوابه)

الأم

تتظاهر بالجنون لتضحكنا
دعنى وشأنى ، وليس هذا وقت المزاح فعندى مايشغلنى
(تخرج)

مفيستو

إن الأنت تؤذى الأنا إلى أبعد مدى
حتى قد أضحت الأنانية أنبل مراتب التضحية .

تحسبنى أمزح
الحقيقة ليست مبثوثة فى الحياة

الوهم واقعى
هذا أروع ما هتكت تجاربى سرّه
وغمرتنى السعادة وأنا أعرف المجهول
ونظرت إلى حياة البشر كيف تضيع هباء
وقهقهت ساخرا كالرعد فى الرياح .

« علوت إلى قمة الجبل الأكبر
حيث يبدى العالم سريرته
وتأمّلت خصال الخليقة وطبع الطبيعة
وهبطت الجبل
فذهبت الخليقة والطبيعة »
« وانكفأت إلى الجبل أهدّه
وقد كنت أرسل التراب تحت قدمى
فصعد إلىّ جبل آخر
وأحصيت الخليقة وقست الطبيعة
فتقلّصت الخليقة والطبيعة فى عقلى الصغير
وبصقت من التقزز

فنجمت بحيرة عند قمة الجبل »

« عدوت ، واجتهدت فى العدو

وكان الأفق نهاية العالم قصدى

ودمت على العدو قرنا من الزمان

يدفعنى بغضى وخوفى

ونهاية الأرض تجذبنى

وشغلنى عدوى

فلم أريث نفسى حتى تأكل وتنام

ورأيت الجبل القديم يلوح لى

ياالخــــذلان الأمل

قد كنت أدنو منه كلما بعدت عنه

وأبصرت ... هناك ... الأفق ... نهاية الأرض . »

« وأدركت الحقيقةُ ذهنى

إن الجبل مرام الحياة

وقد كانت علامة للجبل تدلّنى

الجبل الذى « إلى جنب » الأفق

الجبل القريب من الأفق البعيد »

(ينصت إلى وقع أقدام)

أنا فى الحقيقة أحدب مجنون

ولكن عندما تناديني أصوات آدمية

أتنكر بإرادتى

فأصبح عاقلا منتصب القامة

(يدخل أخوه)

الأخ

قد سألتك مراراً دون جدوى أن تعينني — بعد أن تفرغ من عملك — فى بعض أمورى .

تخلص من بلادتك ، وقلة اكتراثك بالحياة وكوارثها وتهيأ للحرب

مفيستو (لنفسه)

كيف يتنافران

إن غضبي يزداد اندلاعا بينما تضعف قدرتى على القتال

أليست تنبعث قوة المقاتلة من براكين الغضب .

سأخوّف الجميع وأودع قلوبهم الهلع
ولن يفطنوا أنني أفلحت في تدبر هذا الصنع وأنا شبح عليل
كذلك « اللعين » الذي رهبته العصافير فتناءت عن البستان

(الأضحية)

لم يكن وطن لي
فلقد عشت والبؤس في صباي
ولست أذكر أن أخلص لي صديق
ولم يكن بيني وبين فتاة هيام
ثم ساقني قائد لا تعرفه نفسي إلى ميدان
وكان قائدي يتمشق أن يحقق تقاليد القتال
فيرفل في حلته ، ويغظ بي ويجور على رفاقي
فقتلت عدوي وقائدي

الأخ

أنت تتناسى أن وطن ضحيتك — وطن لك

مفيستو

أرى أن الملل لم تخلف فيك حكمتها ، فضقت إلى حدودك

لست أكره شيئا وأزدريه
حين تكون مجرم هى صفتى
كـكرهى وازدرائى لضحيتى
وكثيرا ما خطر لى أن أقتل ضحيتى
لأتخلص من جريمتى
لقد كانت تعيننى على جريمتى
ولولا الضحايا ما صار مجرما .

إن ضحيّـتى قد اتخذت صورة ملاك
وأنا شيطان
مع أنى أعانى العقاب وحدى
إننى شيطان يتعـذب
وسوف أبقى على الدوام برهانا على أن الشيطان يبكى
بينما الضحية تتخذ صورة ملاك
هكذا
إننى أسمو على ضحيتى .
أليست الضحية تتبدّل مجرما كما تبدّلت

إن ذلك يضطرنى أن أفظ وأجور على مجرم « فى المستقبل »
وأليس أن المجرم قد كان ضحية
أليس الشيطان قد كان ملاكا
— احذروا أن تكونوا ملائكة —
أليس ذلك يغفر للشيطان .
ألست فى اللحظة التى أبلغ فيها ذروة جريمتى
أشعر أنى ضحية جريمتى
أكثر من الضحية الأخرى
إننى أقدر أن أنتقل من مرتبة الضحية إلى المجرم
ومن مرتبة المجرم إلى الضحية
فى « لا زمن »
حتى أمحى كل انفصال
فبديا شيئا واحدا
كأنى ساكن
أو بالحرى اختلطا
ومحى كل منهما الآخر

وأصبحا لا شيئا .

الأخ

كيف لا يسومك ضميرك « شيئاً » ؟

مفيستو

أأندم فتستحيل حياتى عدما لاحياة فيه
وأخسر الماضى الجريمة
ويسير مستقبلى فى الماضى
ولكننى كشفت وسيلة الانتفاع بندمى
فلم أندم
وكبت ندمى . وحرصت على ندمى .

الأخ

كأن فيه ندما

مفيستو

حتى لو لم يعد يضطرب فى ندم
فلقد تعمّدت أن أنبته لأكبته

الأخ

الندم لا يكبت ياصاح . (ساخرا) أقسم لك

مفيستو

أقسم لك أنه يكبت ياصاح
ولما كنت ترمينى بأنى ملحد كافر شرير
فأنت على يقين أن قسمى قسم ملحد كافر شرير
إننى أقسم ، ولكى تصدقنى حين أقسم
فإنى أعود إلى دين آبائى ثانية واحدة ليس فوقها مزيد
أحياها حياة يعجز عنها نبى ناسك قديس
وأعبد إلهكم الذى قد كنت أنكرته مرة أخرى
إن إيمانى الأقصر
أعمق من أطول إيمان
سأبكى وأندم وأحترق ، وأفنى وأموت
ثم أرتد بعدها إلى إلحادى أعنف عنفا وأشد شرا
ولكن ذلك القسم الذى أقسمته وأنا مؤمن
لن يطلقنى وأنا ملحد

الأخ

فكأنك لست قاتل أبيه
لست أعرف مثلك إنسانا يقترف أبشع الآثام
ويحتج بمثل هذه الحجج
إنما أنت وحش بلا نظير

(يخرج)

مفيستو

ليس هناك حل ، ولئن كان هناك مسألة
لا أمل لى … إننى أموت
أتسكن وتستكين ؟
أم تخرج من ذاتك وتصبح رجلا آخر يتدفق قوة
لا … إن ضعفى أقوى من أية قوة
ربما اجتهدت فى أن أخرج من ذاتى
ولكن الإخفاق لا محالة نهايتى
ومع ذلك أتستكين وتموت ؟ أم تحيا ؟
أليس طريق إلى الحياة

أحسب أن ليس هناك حياة ومن ثم لا طرق
أو أن طريقى إلى الحياة مغلق
إن موتى ضرورة
ليس لى اختيار
ولذا سوف أختار الضرورة
بينما أموت
أنتهز فرصة موتى
وأجمع حياتى
وفجأة
خرجت من ذاتى
وحملت نفسى وألقيتها فى هاوية فرح عظيم
أذود به عن نفسى

* * *

أخيرا .
أدركت أنى أقوم وحدى
فعثرت على كبريائى .

— ١٢ —

(مفيستو وأخيه وبعض الجنود وقائدهم ـ فى الميدان)

القائد

ادفنوهم ... ادفنوا القتلى الشهداء

لن يجدى البكاء ، وقتل من قتلهم أكثر نفعا .

مفيستو (لنفسه)

لقد أنفقوا حياتهم دونى ، ولـكنى أسمعهم الآن ينادون

اذهبى يافتاة

فلم يعد قلبى يتسع لحبك

إننى من ينابيع هذه الحياة

إننى الحدث الأكبر فى كل الدهور

وما أنتم إلا نظارة مسرح الحياة حيث أتجلى وحدى على خشبته.

(يخاطبهم)

من يدفن جثة يدفن نفسه

من يدفن جثة ندفنه يوم يموت

أتهينه ؟ أتنساه ؟

أتضع ترابا على القتيل
احرص على أن لا يمس التراب الانسان
انفض تلك الذرة اللامتناهية الصغر عن الجثة
اخلوا الأرض من التراب
حتى لا يعد هناك أرض .

أدفنه هنــاك
فيرى الرائى
لأنه يرى
صورة ملتصقة بعينيه
مع الزمان والمــكان
لانسان منحن على جثة
يداه مخضبتان بدم مقتول
فيها قنبلة
فيصيح :
القـــــاتل ... القاتل

حين تدفنه
ينبغى أن تقتله مرة أخرى .

من يدفن الفناء
يدفن الذاكرة أو الوجود
اهجروا بيوتكم
واسكنوا بين الجثث الخالدة
فى الخراب
أو فليحتفظ كل منكم فى بيته بقنبلة وجثة
وزجاجة عطر قديمة
مملوءة دما

القائد

إلى الحرب يارجال

مفيستو

لن أحارب

القائد

لأنك خائن تكره مولاك جنكيزخان

مفيستو

نعم أكرهه ، ولكنى لن أشارككم الحرب لعلة أخرى
المحارب كالسكين موجود ليقطع
يملكه جنكيزخان الملك
إن أول محارب على الأرض — وهو الأصل — كان استعماريا

ولو كان دفاعيا لنازل استعماريا سالفا
. . . لو كان أول محارب دفاعيا فما دواعيه .
نحن لا نجهل لم نخوض الحرب ، فانما نحارب من أجل حريتنا وكرامتنا
ولكن ، لن تكون حرب كاملة الاندلاع
أو محاربون مثاليين
لو لم نتساءل لم يحارب أعداؤنا
لا شك أننا وأعداءنا نحارب من أجل حريتنا وكرامتنا
وهذا يعنى أننا لا نحارب من أجل حريتنا وكرامتنا
نحن لا نحارب ذودا عن مبادىء أو دفاعا عن وطن

أو استيلاء على أرض

أو لأننا نعرف لم اشتعلت الحروب

العلة الوحيدة للحرب تنبت من طبيعتنا

وطبيعتنا الطاعة

حتى من يذود عن الكرامة والحرية ليس حرا كريما

فالدفاع والاعتداء فى عقل جنكيز خان

وشرف الذود عن المثل ينسب إلى جنكيزخان

فيستوى من يحمى وطنه

ومن يعتدى على أرض الآخرين

ونحن أنفسنا نطيع من يقدم لنا أكاليل الغار

ومن يدفعنا إلى العار

(مخاطبا أخاه)

وأنت أصبحت تستمد حياتك الآن من هذا السلاح

الذى اخترعته

بعد أن كنت تمده بالحياة

الأخ

لقد اجتهدت وبذلت حياتى لتستريحوا وتنتصروا

مفيستو

لست أنت من اعادى ولـكن نفسى

فى حقبتنا هذه

ينبت الانسان من المادة « آلات » « تعمل » و « تتحرّك »

والعمل والحركة توجبان الروح والحياة

ومن أين للمادة تلك الخصلة

لو لم تـكن قد سلبتها من الانسان الذى منحها الحياة

وكيف يهبها الحياة

ومجموع ما فى الدنيا من الأرواح ثابت لا يتغير

لقد أسبغ عليها قسما من روحه هو فنقصت عنده الحياة

لقد أحيا المادة ليموت هو

لقد منحها روحه فماش بمادته

لقد سمت المادة

لقد هوى الانسان .

فالعقل يصنع طائرة
ولكن الطائرة وحدها تقدر أن تطير
والعقل يصنع قنبلة
ولكن القنبلة وحدها تدمر وتقتل
الإرادة تشتهى القتل ، والعقل يصنع ما يقتل
وأخى الانسان يقتل
القنبلة قتلت الانسان
لا الانسان .

القاتل هو العاقل
إننى أقتل من يزعم أن العلم علة القتل
لأنه يحسب
العلة من القتل إلى كل قتل إلهى .
إنما المحارب ينتحل العالم
أليس الميدان معمل آخر
فيه يكرر المحارب تجربة العالم

الأخ

نحن لا نقتل ، وإنما نحارب
إننى أعرف هذا الرجل ، إنه أخى
ولو لم يكن أخى لما عرفته
أتبيحون لمجرم منحرف أن يقودكم ؟

مفيستو

أنهم يقبلون علىّ ويحيطوننى بلحظهم ثم يقفلون فى نفور
كمن رأوا مسخا
ذلك أنهم شاهدوا الحقيقة .
كل من أعرض له يصيح
« لقد سلف لى أن رأيت هذا المسخ »
إن فى قلب كل منكم صرحا مشيدا لى
إننى التمثال المبنى فى ميدان مدينتكم ايها الندماء .

إن عيونهم عرّفتهم أنى مسخ
حدثونى إن كنتم سمعتم هراء أعظم

أفهل رأيتم أناسا فهاء يتخذون عيونهم مقياسا؟

لست راسبوتين ولكنني أفوقه

لست غاندى ولكنني أسبقه

إننى دنيا تضم كل ملوك البشر

إن غاندىّ الذى سيحدثكم

واتركوا راسبوتين لى

أو أن راسبوتين سيتكلم كغاندى

فانتفعوا بظاهر نواياه ولا تبالوا بنواياه

ففى ظاهر نواياه نوايا سامية

أو دعونى أتكلم كراسبوتين

ولابد أن من يخالفنى غاندى يقودكم

لكم جمال الورود

فدعونى أبلغ بكم الكمال وأصير أشواكا لها

الأخ

هل أنتم أحرار ... وأمهاتكم حرات ؟

مفيستو

عندما أرى رجلا يقتل أعرف أنه ليس ابن أم بل مومس
لقد شغل مومساتكم كيف يحسد أبناءهن الجيران
هذه الساعة أحاضر ان الأمومة لا تقوم
البرهان : الرجل يقتل رجلا آخر
ولا يبرح من لا تعجبه محاضرتى
فإننى ارضى جميع الآراء
إذ لا ألبث أن أحاضر ان الأمومة تقوم
هى علة الحرب
التجربة :
بينما تشربون الشاى وتأكلون الحلوى دون مقابل
أجعل ابن أم يقتل ابن أم أخرى
أمامكم
فى المعمل .
لأنكم تحبون وطنكم تقتلون
أحبوا وطنكم أكثر لتقتلوا أكثر

ما من أحد يقتل لأنه يحب
استمعوا لى
اصغوا جهدكم
اكرهوا .. اكذبوا .. ازنوا .. اسرقوا ..
ولكن لا تقتلوا
إننى أهبكم الوصايا العشر

القائد

أتصور لنا المحاربين الأبطال وكأنهم قتلة ؟

الأخ

ما غايتك ؟ لن تخدعنى فإنما ولدت لاقتراف الجرائم
هيا ... أعرض علينا « وصية » فريدة .

مفيستو

قد قتلت عزرائيل ، وقمت مقامه
وصيّرت الموت « معلقا » برهة
فطوى السكون الأرض
ثم أحلت الأرض إلى مقبرة من الجماجم
والنجوم فى السماء بدت لى كجماجم

أضاءت مقبرة الأرض
فما أخسها
ما أجملها
بودى أن أحيا بين تلك المقبرة الفرحة البيضاء

الأخ

إنى أعرفك ، ماذا جئت تصنع ؟
(يطلق القائد عليه رصاص مسدسه)

مفيستو

إنى أرتدى أردية الشر ، لأقترف جريمة الخير
(يسقط وهو يتلوى من الألم)

يا أيها الذين ذهبتم
لقد متم قبل أن تدركوا ثأركم
إن نفسي تحن إليكم ولا تبغى فقدكم
فتعالوا جميعا إلىّ
ولتسكن أرواحكم جسدى

لتتموا حياتكم
منذ اليوم أصبح الرجل « كثير الأسماء »
أدعونى « فلانا » و « غيره »
و « أى انسان » « anyman » و« كل انسان » «everyman»
وأ كون الجسد « عديد الأرواح »
إن الذى مات يذهب إلى العالم الآخر
إننى العالم الآخر

عندما أغضب أحيا
وأتبدل كائنا رفيعا عند غضبى
فإنما أغضب على الأحداث لأننى أرفع من كل الأحداث
ليس غضبى كعبثكم الناقص اشتعالا ، ولكن كما يجب أن يكون
إن غضبى نموذج من عالم المثل تحوّل فى ذاتى كائنا بالفعل
لقد تغلغلت بعد معاناة أعنف الجهد وأشده
إلى أعمق أغوار الوحدة التى تطوى الأحداث والأشياء جميعا
فطوتنى معها

وأصبحت لا أشعر بالزمن ، وأفطن إلى اتصال الأشياء
عندما أغضب لهذا الخطب الذى ألم بى
فإنما أغضب للأشياء اللامتناهية جميعا فى كل مكان وزمان .
بغضبى قتلت أبى
ولكننى غضبت ... لأننى غضبت فقتلت أبى .
(يموت هو ووحش الحرب)

انتهى


General Organization of the Alexandria Library

مطبعة اتحاد الجامعات

٢ شارع سان سابا ـ ت : ٢١٧٣٦ اسكندرية